

مختصر

تفسير سورة الفاتحة

اختصره من تفسير الإمام ابن كثير:

بمحمد بن سفيان الميماني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على نبينا
محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أمّا بعد:

فهذا تفسير سورة الفاتحة، اختصرته من «تفسير الإمام
ابن كثير» فجاء في نحو ٤٠٪ من الأصل، مع اشتماله على
عامّة ما في الأصل من المباحث والفوائد.

أدعو إلى الاستفادة منه، فهو مناسبٌ للقراءة الفرديّة
والجماعيّة، كما أدعو إلى نشره عبر وسائل النشر المُختلفة،
وأسأل الله الكريم أن ينفع به ويُبارك فيه.

محمد بن سليمان المهنا



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ سورة الفاتحة ﴾

* يُقال لها: الفاتحة؛ أي: فاتحة الكتابِ خطأً، وبها تُفتتحُ القراءةُ في الصلاة.

* ويُقال لها أيضاً: أمُّ الكتاب، عند جمهور العلماء.

* ويُقال لها: السبع المثاني والقرآن العظيم.

* ويُقال لها: الحمد.

* ويُقال لها: الصلاة، لقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ربه:

«قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ؛ فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، قَالَ اللَّهُ: حَمِدَنِي عَبْدِي..»

الحديث^(١)؛ فَسُمِّيَتْ الْفَاتِحَةُ صَلَاةً؛ لِأَنَّهَا شَرْطٌ فِيهَا.

* ويُقال لها: الشفاء.

(١) أخرجه مسلم (٣٩٥).



* **ويُقال لها:** الرُّقِيَّةُ لحديث أبي سعيد في «الصحیح» حين رَقَى بها الرجلَ السليم، فقال له رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وما يدريك أنها رقية؟»^(١).

* **وروى الشعبي عن ابن عباس أنه سمّاها:** أساس القرآن.

* **وسمّاها سفيان بن عيينة:** الواقعة.

* **وسمّاها يحيى بن أبي كثير:** الكافية، لأنها تكفي عمّا عداها، ولا يكفي ما سواها عنها.

* **ويُقال لها:** سورة الصلاة، والكنز؛ ذكرهما الزمخشري في كشافه.

وهي مكّية؛ وقيل: مدنية؛ ويقال: نزلت مرّتين؛ مرّةً بمكة، ومرّةً بالمدينة. والأول أشبه، لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي﴾^(٢) والله تعالى أعلم.

(١) أخرجه البخاري (٢٢٧٦) ومسلم (٢٢٠١).

(٢) [سورة الحجر: آية ٨٧].



وهي سبعُ آياتٍ بلا خلاف، وإنما اختلفوا في البسمة، هل هي آية مستقلة من أولها كما هو المشهور عن جمهور قُرَّاء الكوفة، وقول جماعة من الصحابة والتابعين، وخلق من الخلف، أو بعض آية، أو لا تُعدُّ من أولها بالكليَّة، كما هو قول أهل المدينة من القُرَّاء والفُهاء؟ على ثلاثة أقوال.

* **قالوا:** وكلماتها خمس وعشرون كلمة، وحروفها مائة وثلاثة عشر حرفاً.

* **قال البخاري في أول «كتاب التفسير»:** وسُمِّيت أمَّ الكتاب؛ لأنه يُبدأ بكتابها في المصاحف، ويُبدأ بقراءتها في الصلاة.

* **وقيل:** إنما سُمِّيت بذلك لرجوع معاني القرآن كُله إلى ما تضمَّنته.

قال ابن جرير: والعرب تسمِّي كل جامع أمراً أو مقدِّم لأمر، إذا كانت له توابع تتبعه هو لها إمامٌ جامع: «أُمَّاً»



فتقول للجِلْدَة التي تجمع الدماغ: «أُمُّ الرَّأْسِ» وَيُسْمَوْنَ
لِوَاءِ الْجَيْشِ وَرَأَيْتَهُمُ الَّتِي يَجْتَمِعُونَ تَحْتَهَا «أُمَّةً» وَاسْتَشْهَدُ
بِقَوْلِ ذِي الرِّمَّةِ:

عَلَى رَأْسِهِ أُمَّ لَنَا نَقْتَدِي بِهَا
جَمَاعُ أُمُورٍ لَيْسَ نَعْصِي لَهَا أَمْرًا
يعني: الرمح.

قال: وَسُمِّيَتْ مَكَّةُ أُمَّ الْقُرَى؛ لِتَقْدُمِهَا أَمَامَ جَمِيعِهَا،
وَجَمْعُهَا مَا سِوَاهَا. وَقِيلَ: لِأَنَّ الْأَرْضَ دُحِيتُ مِنْهَا.

ويقال لها أيضاً: الفاتحة؛ لأنها تُفْتَحُ بِهَا الْقِرَاءَةُ،
وَافْتَتَحَتْ الصَّحَابَةُ بِهَا كِتَابَةَ الْمَصْحَفِ الْإِمَامِ، وَصَحَّ
تَسْمِيَتُهَا بِالسَّبْعِ الْمِثْنِيِّ؛ قَالُوا: لِأَنَّهَا تُشْنَى فِي الصَّلَاةِ، فَتَقْرَأُ فِي
كُلِّ رَكْعَةٍ، وَإِنْ كَانَ لِلْمِثْنِيِّ مَعْنَى آخَرَ غَيْرُ هَذَا، كَمَا سَيَأْتِي
بَيَانُهُ فِي مَوْضِعِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

عن أبي هريرة، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أنه قال في أمّ القرآن: «هي أمّ القرآن، وهي السبع المثاني، وهي القرآن العظيم»^(١).

وروى البيهقي عن عليّ، وابن عباس، وأبي هريرة؛ أنهم فسّروا قوله تعالى: ﴿سَبْعًا مِّنَ الْمُثَانِي﴾^(٢) بالفاتحة، وأن البسملة هي الآية السابعة منها.



(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤٤٨/٢) ورواه البخاري بلفظ قريب من هذا اللفظ كما سيأتي.

(٢) [سورة الحجر: آية ٨٧].



﴿ ذكُرُ مَا وَرَدَ فِي فَضْلِ الْفَاتِحَةِ ﴾

عن أبي سعيد بن المُعلَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: كنتُ أصلي، فدعاني رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلم أُجِبْهُ حتى صَلَّيتُ؛ قال: وأتيتُهُ فقال: «ما منعك أن تأتيَنِي»؟ قال: قلت: يا رسول الله؛ إني كنتُ أصلي. قال: «ألم يقل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾^(١)» ثم قال: «لأعلمنَّك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد» قال: فأخذ بيدي، فلما أراد أن يخرج من المسجد قلت: يا رسول الله؛ إنك قلت: لأعلمنَّك أعظم سورة في القرآن. قال: «نعم ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٢) هي السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أوتيتُهُ»^(٣) رواه البخاري.

(١) [سورة الأنفال: آية ٢٤].

(٢) [سورة الفاتحة: آية ٢].

(٣) أخرجه البخاري (٤٤٧٤).



واستدلوا بهذا الحديث وأمثاله على تفاضل بعض الآيات والسور على بعض، كما هو المحكي عن كثير من العلماء؛ منهم إسحاق بن راهويه، وأبو بكر بن العربي، وابن الحصار من المالكية.

وذهبت طائفة أخرى إلى أنه لا تفاضل في ذلك؛ لأن الجميع كلام الله، ولئلا يوهم التفضيل نقص المفضل عليه، وإن كان الجميع فاضلاً. نقله القرطبي عن الأشعري، وأبي بكر الباقلاني، وأبي حاتم ابن حبان البستي، ويحيى بن يحيى، ورواية عن الإمام مالك أيضاً.

حديث آخر:

عن أبي سعيد الخدري؛ قال: كُنَّا فِي مَسِيرٍ لَنَا، فَنَزَلْنَا، فَجَاءَتْ جَارِيَةٌ فَقَالَتْ: إِنَّ سَيِّدَ الْحَيِّ سَلِيمٌ، وَإِنْ نَفَرْنَا غُيَّبٌ، فَهَلْ مِنْكُمْ رَاقٌ؟ فَفَقَامَ مَعَهَا رَجُلٌ مَا كُنَّا نَأْبَهُ بِرَقِيَّةٍ،



فراقه فبراً؛ فأمر له بثلاثين شاة، وسقانا لبناً؛ فلما رجع قلنا له: أكنت تُحسِنُ رقية؟ قال: لا ما رقيتُ إلا بأُمِّ الكتاب. قلنا: لا تُحدِثوا شيئاً حتى نأتي رسول الله ﷺ. فلما قَدِمنا إلى المدينة ذكرناه للنبي ﷺ فقال: «وما كان يُدريه أنها رقية؟ اقسَموا واضربوا لي بسهم»^(١) رواه البخاري ومسلم.

سَلِيم؛ يعني: لَدِيع؛ يُسَمُّونه بذلك تفاؤلاً.

❁ حديث آخر:

روى مسلم^(٢) في صحيحه والنسائي في سننه، عن ابن عباس؛ قال: بينا رسول الله ﷺ وعنده جبرائيل إذ سَمِعَ نقيضاً فوقه، فرفع جبريل بصره إلى السماء، فقال: «هذا باب قد فُتِحَ من السماء ما فُتِحَ قط. قال: فنزل منه مَلَكٌ، فأتى

(١) أخرجه البخاري ومسلم كما مرَّ في الحاشية ص ٤.

(٢) برقم (٨٠٦).



النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: أبشر بنورين قد أوتيتهما لم يؤتهما نبيُّ قبلك: فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لم تقرأ حرفاً منها إلا أوتيته». وهذا لفظ النسائي، ولمسلم نحوه.

❁ حديث آخر:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قال الله عزَّ وجلَّ: قسمتُ الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبي ما سأل؛ فإذا قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال الله: حمدني عبدي، وإذا قال: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ قال الله: أثنى عليَّ عبدي، فإذا قال: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ قال: مجدني عبدي. فإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبي ما سأل، فإذا قال: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ❶ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ❁ قال: هذا لعبي ولعبي ما سأل» رواه مسلم (١).

(١) سبق تخريجه ص ٣.



ثم الكلام على ما يتعلق بهذا الحديث مما يختص بالفاتحة من وجوه:

أحدها: أنه قد أُطلق فيه لفظ الصلاة، والمراد القراءة؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ (١١٠) أي: بقراءتك، كما جاء مصرحاً به في الصحيح عن ابن عباس. وهكذا قال في هذا الحديث: «قسمت الصلاة بين وبين عبدي نصفين، فنصفها لي، ونصفها لعملي، ولعملي ما سأل» فدلَّ على عظمة القراءة في الصلاة، وأنها من أكبر أركانها إذ أُطلقت العبادة وأريد بها جزء واحد منها؛ وهو القراءة، فدلَّ هذا على أنه لا بدَّ من القراءة في الصلاة، وهو اتفاق من العلماء، ولكن اختلفوا في مسألة نذكرها في:

(١) [سورة الإسراء: آية ١١٠].



الوجه الثاني: هل يتعين للقراءة في الصلاة فاتحة الكتاب أم تجزئ هي وغيرها؟ على قولين مشهورين؛ فعند أبي حنيفة ومن وافقه من أصحابه وغيرهم؛ أنها لا تتعين، بل مهما قرأ به من القرآن أجزاءه في الصلاة. واحتجوا بعموم قوله تعالى: ﴿فَأَقْرءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾^(١) وبما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة في قصة المسيء في صلاته، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال له: «إِذَا قَمَتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَكَبِّرْ، ثُمَّ اقْرَأْ مَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ»^(٢) قالوا: فأمره بقراءة ما تيسر، ولم يُعَيِّنْ له الفاتحة ولا غيرها.

والقول الثاني: أنه تتعين قراءة الفاتحة في الصلاة، ولا تُجزئ الصلاة بدونها؛ وهو قول بقية الأئمة: مالك، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وأصحابهم، وجمهور العلماء.

(١) [سورة المزمل: آية ٢٠].

(٢) أخرجه البخاري (٢/٢٣٧) ومسلم (٤٥/٣٩٧).



واحتجُّوا على ذلك بقول النبي صلوات الله وسلامه عليه: «من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج»^(١) والخداج: هو الناقص.

واحتجُّوا أيضاً بما ثبت في الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت؛ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب»^(٢) والأحاديث في هذا الباب كثيرة، ووجه المناظرة ههنا يطول ذكره. وقد أشرنا إلى مأخذهم في ذلك رَحْمَهُمُ اللهُ.

ثم إن مذهب الشافعي وجماعة من أهل العلم أنه تجب قراءتها في كل ركعة.

وقال آخرون: إنما تجب قراءتها في معظم الركعات.

وقال الحسن، وأكثر البصريين: إنما تجب قراءتها في

(١) أخرجه مسلم (٣٩٥/٣٨).

(٢) أخرجه البخاري (٧٥٦) ومسلم (٣٩٤).



ركعة واحدة من الصلاة أخذاً بمطلق الحديث: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب»^(١) وموضع تحرير هذا كله في «كتاب الأحكام الكبير» والله أعلم.

الوجه الثالث: هل تجب قراءة الفاتحة على المأموم؟ فيه

ثلاثة أقوال للعلماء:

* **أحدها:** أنه تجب عليه قراءتها، كما تجب على إمامه، لعموم الأحاديث المتقدمة.

* **والثاني:** لا تجب على المأموم قراءة بالكلية لا الفاتحة ولا غيرها، لا في الصلاة الجهرية ولا في الصلاة السرية، لما رواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده عن جابر بن عبد الله، عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أنه قال: «من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة»^(٢) ولكن إسناده ضعيف.

(١) انظر التخريج السابق.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٣/٣٣٩).



* **والقول الثالث:** أنه تجب القراءة على المأموم في السرية لما تقدم، ولا يجب ذلك في الجهرية، لما ثبت في صحيح مسلم عن أبي موسى الأشعري؛ قال: قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «**إِنَّمَا جُعِلَ الْإِمَامَ لِيُؤْتَمَّ بِهِ، فَإِذَا كَبَّرَ فَكَبِّرُوا؛ وَإِذَا قرَأَ فَأَنْصِتُوا..**»^(١) وذكر بقية الحديث.

وهكذا رواة بقية أهل السنن: أبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، عن أبي هريرة، عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أنه قال: «**وَإِذَا قرَأَ فَأَنْصِتُوا**» وقد صحَّحه مسلم بن الحجاج أيضاً، فدلَّ هذان الحديثان على صحَّة هذا القول؛ وهو قول قديمٍ للشافعي **رَحِمَهُ اللَّهُ**؛ وروايةٌ عن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى.

والغرض من ذكر هذه المسائل هنا بيان اختصاص سورة الفاتحة بأحكام لا تتعلق بغيرها من السور والله أعلم.

(١) أخرجه مسلم (٤٠٤).

الكلام على تفسير أحكام الاستعاذة

قال الله تعالى: ﴿ خذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ (١٩٩) وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴾ (٩٦) وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ (٣٤) وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ (٣).

(١) [سورة الأعراف: الآيات - ١٩٩-٢٠٠]

(٢) [سورة المؤمنون: الآيات ٩٦-٩٨]

(٣) [سورة فصلت: الآيات ٣٤-٣٦].



فهذه ثلاث آيات ليس لهنَّ رابعة في معناها؛ وهو أن الله تعالى يأمر بمصانعة العدو الإنسي والإحسان إليه، ليرُدَّه عنه طبعه الطيب الأصل إلى الموالاة والمصافاة، ويأمر بالاستعاذة من العدو الشيطاني لا محالة؛ إذ لا يقبل مصانعة ولا إحساناً، ولا يتبغى غير هلاك ابن آدم، لشدة العداوة بينه وبين أبيه آدم من قبل؛ كما قال تعالى: ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ لَا يَفْنِنَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ﴾ (١) وقال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (٢) وقال تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ (٣).

وقد أقسم للوالد آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ لَهُ لِمَنِ النَّاصِحِينَ وَكَذَّبَ، فكيف معاملته لنا؟ وقد قال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ

(١) [سورة الأعراف: آية ٢٧].

(٢) [سورة فاطر: آية ٦].

(٣) [سورة الكهف: آية ٥٠].



أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ (١).

وقال الله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ

الرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ

يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ

هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ (٢).

فقال طائفة من القراء وغيرهم: يتعوذ بعد القراءة،

واعتمدوا على ظاهر سياق الآية: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ

بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ (٣) ولدفع الإعجاب بعد فراغ

العبادة.

والمشهور الذي عليه الجمهور أن الاستعاذة إنما تكون

قبل التلاوة لدفع الوسواس فيها؛ ومعنى الآية عندهم:

(١) [سورة ص: الآيات ٨٢-٨٣]

(٢) [سورة النحل: الآيات ٩٨-١٠٠].

(٣) [سورة النحل: الآية ٩٨].



﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ ﴾^(١) أي: إذا أردت القراءة؛ كقوله تعالى:
 ﴿ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ ﴾^(٢)
 أي: إذا أردتم القيام.

والدليل على ذلك: الأحاديث عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛
 فعن أبي سعيد الخدري؛ قال: كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 إذا قام من الليل فاستفتح صلاته وكبّر، قال: «سبحانك اللهم
 وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا إله غيرك»، ثم
 يقول «لا إله إلا الله ثلاثاً» ثم يقول «أعوذ بالله السميع العليم،
 من الشيطان الرجيم، من همزه ونفخه ونفثه»^(٣).

وقد جاء في الاستعاذة أحاديث كثيرة يطول ذكرها هاهنا،
 وموطنها كتاب الأذكار وفضائل الأعمال. والله أعلم^(٤).

(١) [سورة النحل: الآية ٩٨].

(٢) [سورة المائدة: آية ٦].

(٣) أخرجه أحمد (٣/ ٥٠) وأخرجه كذلك أصحاب السنن الأربعة.

(٤) ذكر المؤلف رَحْمَةُ اللهِ بعض تلك الأحاديث، وأشهرها ما في الصحيحين =

ومن لطائف الاستعاذة أنها طهارة للضم ممّا كان يتعاطاه من اللغو والرفث، وتطيب له لتلاوة كلام الله، وهي استعاذة بالله واعتراف له بالقدرة، وللعبد بالضعف والعجز عن مقاومة هذا العدو المُبين الباطن الذي لا يقدر على منعه ودفعه إلا الله الذي خلقه، ولا يقبل مصانعة، ولا يُدارى بالإحسان، بخلاف العدو من نوع الإنسان، كما دلّت على ذلك آيات من القرآن في ثلاث من المثاني^(١). وقال تعالى:

﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾

(٢) ﴿٦٥﴾

= من حديث سليمان بن صرد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: كُنْتُ جَالِسًا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَرَجُلَانِ يَسْتَبَانِ وَأَحَدُهُمَا قَدِ احْمَرَّ وَجْهُهُ وَأَنْتَفَحَتْ أُوْدَاجُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ، لَوْ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ذَهَبَ مِنْهُ مَا يَجِدُ) فَقَالُوا لَهُ: إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «تَعَوَّذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ». متفقٌ عليه.

(١) ذَكَرَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ الْآيَاتِ الثَّلَاثِ فِي أَوَّلِ هَذَا الْفَصْلِ: الْكَلَامَ عَلَى تَفْسِيرِ الْاسْتِعَاذَةِ.

(٢) [سورة الإسراء: آية ٦٥].



وقد نزلت الملائكة لمقاتلة العدو البشري يوم بدر، فمن قتل العدو الظاهري البشري كان شهيداً، ومن قتل العدو الباطني كان طريداً، ومن غلبه العدو الظاهري كان مأجوراً، ومن قهره العدو الباطني كان مفتوناً أو موزوراً، ولما كان الشيطان يرى الإنسان من حيث لا يراه، استعاذ منه بالذي يراه ولا يراه الشيطان.



فصل

والاستعاذة هي الالتجاء إلى الله تعالى، والالتصاق
بجنابه، من شر كل ذي شر.

والعياذ يكون لدفع الشر، واللياذ يكون لطلب جلب
الخير، كما قال المتنبي:

يا من ألوذُ به فيما أوُمَّلُهُ
ومن أعوذُ به ممَّن أحاذرُهُ
لا يجبر الناس عظمًا أنت كاسرُهُ
ولا يهيضون عظمًا أنت جابرُهُ

ومعنى (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) أي: أستجير
بجناب الله من الشيطان الرجيم أن يضرَّني في ديني أو دنيائي،
أو يصدِّني عن فعل ما أمرتُ به، أو يحثِّني على فعل ما نهيتُ



عنه، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَكْفُهُ عَنِ الْإِنْسَانِ إِلَّا اللَّهُ، ولهذا أمر الله تعالى بمصانعة شيطان الإنس ومداراته بإسداء الجميل إليه، ليردّه طبعه عما هو فيه من الأذى، وأمر بالاستعاذة به من شيطان الجن؛ لأنه لا يقبل رشوةً، ولا يؤثر فيه جميل؛ لأنه شريرٌ بالطبع، ولا يكفُّه عنك إلا الذي خلقه.

والشيطان في لغة العرب مشتق من شطن، إذا بُعد؛ فهو بعيد بطبعه عن طباع البشر، وبعيد بفسقه عن كل خير.

وقيل: مشتق من شاط؛ لأنه مخلوق من نار؛ ومنهم من يقول: كلاهما صحيح في المعنى، ولكن الأول أصح، وعليه يدلُّ كلام العرب؛ قال أمية بن أبي الصلت في ذكر ما أوتي سليمان عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:

أَيُّمَا شَاطِنٍ عَصَاهُ عَكَاهُ ثُمَّ يُلْقَى فِي السَّجْنِ وَالْأَغْلَالِ

فقال: أَيُّمَا شَاطِنٍ، وَلَمْ يَقُلْ: أَيُّمَا شَائِطٍ.



وقال النابغة الذبياني:

نأت بسعادَ عنك نوى شطونُ فباتت والفؤاد بها رهينُ

يقول: بَعَدْتُ بِهَا طَرِيقَ بَعِيدَةٍ.

وقال سيبويه: العرب تقول: تشيطن فلان، إذا فَعَلَ فِعْلَ

الشياطين، ولو كان من شاط لقالوا: تشيَّط.

فالشيطان مشتقٌ من البُعْدِ على الصحيح؛ ولهذا يسمون

كلَّ من تمرَّد من جنِّي وإنسيٍّ وحيوان: شيطانًا. قال الله

تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ

يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ (١).

والرجيم: فعيل بمعنى مفعول؛ أي: إنه مرجومٌ مطرودٌ

عن الخير كله، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا

بِمَصْبِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيْطَانِ﴾ (٢) إلى غير ذلك من الآيات.

(١) [سورة الأنعام: آية ١١٢].

(٢) [سورة الملك: آية ٥].



وقيل: رجيمٌ بمعنى راجم؛ لأنه يرمم الناس بالوسواس والرباثة^(١). والأول أشهر وأصح.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ 

افتتح بها الصحابةُ كتابَ الله، واتفق العلماء على أنها بعضُ آيةٍ من سورة النمل؛ ثم اختلفوا: هل هي آيةٌ مستقلةٌ في أوَّل كلِّ سورة، أو مِنْ أوَّل كلِّ سورة كُتبت في أوَّلها، أو أنها بعض آية من أول كل سورة، أو أنها كذلك في الفاتحة دون غيرها، أو أنها إنما كُتبت للفصل لا أنها آية - على أقوال للعلماء؛ سَلَفًا وَخَلْفًا؛ وذلك مبسوطٌ في غير هذا الموضع.

وأما الجهر بها فمُفَرَّعٌ على هذا؛ فمن رأى أنها ليست منها فلا يجهر بها، وكذا من قال: إنها آية في أولها.

وأما من قال بأنها من أوائل السور، فاختلفوا؛ فذهب

(١) الرباثة: جمع ربيثة وهي الخديعة.

الشافعي رَحِمَهُ اللهُ إلى أنه يجهر بها مع الفاتحة والسورة؛ وهو مذهب طوائف من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين سلفاً وخلفاً.

وذهب آخرون إلى أنه لا يجهر بالبسملة في الصلاة، وهذا هو الثابت عن الخلفاء الأربعة، وطوائف من سلف التابعين والخلف، وهو مذهب أبي حنيفة، وأحمد بن حنبل.

وعند الإمام مالك أنه لا يقرأ البسملة بالكلية لا جهرًا ولا سرًا.

فهذه (أقوال) ^(١) الأئمة رَحِمَهُمُ اللهُ في هذه المسألة، وهي قريبة؛ لأنهم أجمعوا على صحّة صلاة مَنْ جهر بالبسملة وَمَنْ أَسْرَّ، والله الحمد والمِنَّة.



(١) كلمة «أقوال» إضافة منّي (المختصر).



فصل في فضلها

قال الإمام أحمد بن حنبل في مسنده: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن عاصم؛ قال: سمعت أبا تميمه يُحَدِّث عن رديف النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ قال: عشر بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حماره؛ فقلت: تعس الشيطان. فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تقل: تعس الشيطان؛ فإنك إذا قلت: تعس الشيطان، تعاضم وقال: بقوَّتِي صرعتُهُ، وإذا قلت: باسم الله تصاغر حتى يصير مثل الذباب»^(١).

فهذا من تأثير بركة «بسم الله»، ولهذا تُسْتَحَبُّ في أوَّل كلِّ عملٍ وقولٍ؛ فَتُسْتَحَبُّ في أوَّل الخطبة، وعند دخول الخلاء، وفي أوَّل الوضوء، وعند الذبيحة في مذهب الشافعي وجماعة، وهكذا تُسْتَحَبُّ عند الأكل ومن العلماء من أوجبها، وكذا

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٥٩ / ٥).



تُسْتَحَبُّ عِنْدَ الْجَمَاعِ لَمَّا فِي الصَّحِيحِينَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ أَهْلَهُ قَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، فَإِنَّهُ إِنْ يُقَدَّرَ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ لَمْ يَضُرَّهُ الشَّيْطَانُ أَبَدًا»^(١).

وقد ذكر الرازي في تفسيره في فضل البسملة أحاديث منها: حديث أبي هريرة أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا أَتَيْتَ أَهْلَكَ فَسَمِّ اللَّهَ، فَإِنَّهُ إِنْ وُجِدَ لَكَ وَلَدٌ، كُتِبَ لَكَ بَعْدَ أَنْفَاسِهِ وَأَنْفَاسِ ذَرِيَّتِهِ حَسَنَاتٌ» وهذا لا أصل له، ولا رأيتُه في شيء من الكتب المعتمد عليها ولا غيرها.

ومن ههنا ينكشف لك أن القولين عند النحاة في تقدير المُتَعَلِّقِ بِالْبَاءِ فِي قَوْلِكَ: بِسْمِ اللَّهِ، هل هو اسم أو فعل؟ أنهما متقاربان، وكلُّ قَدْ وَرَدَ بِهِ الْقُرْآنُ؛ أَمَا مِنْ قَدْرِهِ بِاسْمِ تَقْدِيرِهِ بِسْمِ اللَّهِ ابْتِدَائِي؛ فَلِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا﴾

(١) أخرجه البخاري (١٤١) ومسلم (١٤٣٤).



بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِبَهَا وَمُرْسَهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤١﴾ (١).

ومن قدره بالفعل أمراً أو خبراً؛ نحو: أبدأ بسم الله، أو ابتدأت بسم الله فلقوله تعالى: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (٢) وكلاهما صحيح؛ وذلك بحسب الفعل الذي قبله إن كان قياماً أو قعوداً أو أكلاً أو شرباً، أو قراءة أو وضوءاً أو صلاة؛ فالمشروعُ ذِكْرُ اسمِ الله في الشروع في ذلك كله؛ تبرُّكاً وتيمناً واستعانةً على الإتمام والتقبُّل. والله أعلم.

﴿اللَّهُ﴾ 

عَلَّمَ عَلَى الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، يقال: إِنَّهُ الاسمُ الأعظم. لأنه يوصف بجميع الصفات، كما قال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُهُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ

(١) [سورة هود: آية ٤١].

(٢) [سورة العلق: آية ١].

الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾
 هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ (١) فَأَجْرَى الْأَسْمَاءِ
 الْبَاقِيَةَ كُلِّهَا صِفَاتٍ لَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ
 فَادْعُوهُ بِهَا﴾ (٢) وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا
 مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ (٣).

وفي الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 قال: «إن الله تسعة وتسعين اسماً، مائة إلا واحداً من أحصاها
 دخل الجنة» (٤).

وجاء تعدادها في رواية الترمذي وابن ماجه، وبين
 الروایتين اختلاف زيادة ونقصان.

(١) [سورة الحشر: الآيات ٢٢-٢٤].

(٢) [سورة الأعراف: آية ١٨٠].

(٣) [سورة الإسراء: آية ١١٠].

(٤) أخرجه البخاري (٢٧٣٦) ومسلم (٢٦٧٧).



﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾

اسمان مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة. ورحمن أشدُّ مبالغةً من رحيم. وفي كلام ابن جرير ما يُفهم منه حكاية الاتفاق على هذا.

قال القرطبي: ثم قيل هما بمعنى واحد؛ كندمان ونديم؛ قاله أبو عبيد.

وقيل: ليس بناء فعلان كفعال؛ فإن «فعالان» لا تقع إلا على مبالغة الفعل، نحو قولك: رجل غضبان «للرجل الممتلئ غضباً». وفعال قد يكون بمعنى الفاعل والمفعول.

قال أبو علي الفارسي: الرحمن اسمٌ عامٌّ في جميع أنواع الرحمة يختص به الله تعالى، والرحيم إنما هو من جهة المؤمنين؛ قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ (١).

(١) [سورة الأحزاب: آية ٤٣].



واسمه تعالى الرحمن خاص به لم يُسمَّ به غيره؛ كما قال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ (١) وقال تعالى: ﴿وَسَأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ﴾ (٢). ولما تجهرم (٣) مسيلمة الكذاب، وتسمى برحمان اليمامة، كساه الله جلباب الكذب، وشهره به، فلا يُقال إلا مسيلمة الكذاب، فسار يُضرب به المثل في الكذب بين أهل الحضرة وأهل المدر وأهل الوبر من أهل البادية والأعراب.

وقد زعم بعضهم أن الرحيم أشدُّ مبالغةً من الرحمان؛ لأنه أكَّد به. والمؤكَّد لا يكون إلا أقوى من المؤكَّد.

والجواب: أن هذا ليس من باب التأكيد، وإنما هو من باب النعت بعد النعت؛ ولا يلزم فيه ما ذكره.

(١) [سورة الإسراء: آية ١١٠].

(٢) [سورة الزخرف: آية ٤٥].

(٣) لعلَّ معناها: (جاهر بجُرْمه) كما استظهر ذلك الشيخ أحمد شاكر رحمه الله.



وعلى هذا فيكون تقديم اسم الله الذي لم يُسمَّ به أحدٌ غيره، ووصفه أولاً بالرحمان الذي مَنَعَ من التسمية به لغيره، كما قال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ (١) وإنما تجهرم مسيلمة اليمامة في التسمي به، ولم يتابعه على ذلك إلا من كان معه في الضلالة.

وأما الرحيم فإنه تعالى وَصَفَ به غيره حيث قال: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٢٨) (٢) كما وصف غيره بغير ذلك من أسمائه، في قوله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (٢) (٣).

والحاصل: أَنَّ مِنْ أَسْمَائِهِ تعالى ما يُسَمَّى به غيره، ومنها ما لا يُسَمَّى به غيره؛ كاسم: الله، والرحمن، والخالق،

(١) [سورة الإسراء: آية ١١٠].

(٢) [سورة التوبة: آية ١٢٨].

(٣) [سورة الإنسان: آية ٢].

والرزاق ونحو ذلك؛ فلهذا بدأ باسم الله ووصفه بالرحمن؛ لأنه أخص وأعرف من الرحيم؛ لأن التسمية أولاً إنما تكون بأشرف الأسماء؛ فلهذا ابتداء بالأخص فالأخص.

وقد زعم بعضهم أن العرب لا تعرف الرحمن حتى ردَّ الله عليهم ذلك بقوله: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ (١).

ولهذا قال كفار قريش يوم الحديبية لما قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: اكتب ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فقالوا: لا نعرف الرحمن ولا الرحيم. رواه البخاري (٢).

وفي بعض الروايات: لا نعرف الرحمن إلا الرحمن اليمامة.

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ

(١) [سورة الإسراء: آية ١١٠].

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٣١).



أَسْجُدْ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴿٦٠﴾ (١).

والظاهر أَنَّ إنكارهم هذا إنما هو جحودٌ وعنادٌ وتعتُّ في كفرهم، فإنه قد وُجِدَ في أشعارهم في الجاهلية تسمية الله تعالى بالرحمن.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٢﴾

قال أبو جعفر بن جرير رَحِمَهُ اللهُ: معنى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: الشكر لله خالصاً دون سائر ما يُعْبَد من دونه، ودون كل ما برأ من خلقه، بما أنعم على عباده من النعم التي لا يحصيها العدد، ولا يحيط بعددها غيره أحد، في تصحيح الآلات لطاعته، وتمكين جوارح أجسام المكلفين لأداء فرائضه، مع ما بسط لهم في دنياهم من الرزق، وغذاهم به من نعيم العيش، من غير استحقاق منهم ذلك عليه، ومع ما نبههم

(١) [سورة الفرقان: آية ٦٠].

عليه ودعاهم إليه، من الأسباب المؤدية إلى دوام الخلود في دار المقام في النعيم المقيم، فلربنا الحمد على ذلك كله أولاً وآخراً.

وقال ابن جرير رَحِمَهُ اللهُ: الحمد لله، ثناءً أثنى به على نفسه، وفي ضمنه أمر عباده أن يُثنوا عليه، فكأنه قال: قولوا الحمد لله.

قال: وقد قيل إن قول القائل ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ثناءً عليه بأسمائه الحسنی وصفاته العلی، وقوله: (الشكر لله) ثناءً عليه بنعمه وأياديه.

ثم شرع في ردّ ذلك بما حاصله أن جميع أهل المعرفة بلسان العرب يوقعون كلاً من الحمد والشكر مكان الآخر.

وهذا الذي ادعاه ابن جرير فيه نظر؛ لأنه اشتهر عند كثير من العلماء من المتأخرين أن الحمد هو الثناء بالقول على



المحمود بصفاته اللازمة والمتعدّية، والشكر لا يكون إلا على
المتعدّية، ويكون بالجنان واللسان والأركان؛ كما قال الشاعر:
أفادتكم النعماء مني ثلاثة

يدي ولساني والضمير المحجبا

ولكنهم اختلفوا أيهما أعم: الحمد أو الشكر؟ على
قولين: والتحقيق أن بينهما عموماً وخصوصاً، فالحمد
أعم من الشكر من حيث ما يقعان عليه؛ لأنه يكون على
الصفات اللازمة والمتعدية، تقول: حمدته لفروسيته،
وحمدته لكرمه، وهو أخص؛ لأنه لا يكون إلا بالقول،
والشكر أعم من حيث ما يقعان عليه؛ لأنه يكون بالقول
والفعل والنية كما تقدم. وهو أخص؛ لأنه لا يكون إلا على
الصفات المتعدية، لا يقال: شكرته لفروسيته؛ وتقول:
شكرته على كرمه وإحسانه إليّ.

هذا حاصل ما حرّره بعض المتأخرين. والله أعلم.



وقال أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري: الحمد: نقيض الذم، تقول: حمدتُ الرجلَ أحمدَه حمداً ومحمداً، فهو حميد، ومحمود. والحمد أعم من الشكر.

وقال في الشكر: هو الثناء على المحسن بما أولاكه من المعروف، يقال: شكرته وشكرت له، وباللام أفصح.

وأما المدح فهو أعم من الحمد؛ لأنه يكون للحي وللमित وللجماد أيضاً، كما يمدح الطعام والمكان ونحو ذلك ويكون قبل الإحسان وبعده، وعلى الصفات المتعدية واللازمة أيضاً؛ فهو أعم.

وقد حكى القرطبي عن طائفةٍ أنهم قالوا: قول العبد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أفضل من قوله: «لا إله إلا الله» لا شتمال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ على التوحيد مع الحمد.



وقال آخرون: «لا إله إلا الله» أفضل؛ لأنها الفصل بين الإيمان والكفر، وعليها يُقاتل الناس حتى يقولوا: «لا إله إلا الله» كما ثبت في الحديث المتفق عليه.

والرب: هو المالك المتصرف. ويُطلق في اللغة على السيد، وعلى المتصرف للإصلاح؛ وكل ذلك صحيح في حق الله تعالى، ولا يُستعمل الرب لغير الله، بل بالإضافة؛ تقول: ربُّ الدار وربُّ كذا. وأما الربُّ فلا يقال إلا الله **عَزَّوَجَلَّ**، وقد قيل: إنه الاسم الأعظم.

والعالمين: جمعُ عالم، وهو كلُّ موجودٍ سوى الله **عَزَّوَجَلَّ**.

والعالم: جمعٌ لا واحد له من لفظه. والعوالم أصناف المخلوقات في السماوات وفي البرِّ والبحر، وكلُّ قرنٍ منها وجيلٌ يُسمَّى عالمًا أيضًا.

قال الزجاج: العالمُ كلُّ ما خلق الله في الدنيا والآخرة.

قال القرطبي: وهذا هو الصحيح أنه شامل لكل

العالمين؛ كقوله: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢٣) قَالَ رَبُّ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ (١).

والعالم: مُشتقٌ من العَلامَة.

قلت: لأنه علمٌ دالٌّ على وجود خالقه وصانعه ووحدانيته؛

كما قال ابن المعتز:

فيا عجباً كيف يُعصى الإله أم كيف يجحده الجاحدُ
وفي كلِّ شيءٍ له آيةٌ تدلُّ على أنه واحدُ

وقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمِ﴾ (٣) تقدّم الكلام عليه في

البسملة بما أغنى عن الإعادة.

قال القرطبي: إنما وَصَفَ نفسه بالرحمن الرحيم بعد

قوله: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ليكون من باب قرْنِ الترغيب

(١) [سورة الشعراء: الآيات ٢٣-٢٤]



بعد الترهيب؛ كما قال تعالى: ﴿ نَبِيَّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ٤٩ ﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ (١) وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ١٦٥﴾ (٢) قال: فالربُّ فيه ترهيب، والرحمنُ الرحيمُ ترغيب.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع في جنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من رحمته أحد» (٣).

﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ٤ ﴾

قرأ بعض القراء: «مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ» وقرأ آخرون {مَالِكِ} وكلاهما صحيح متواتر في السبع، وقد رجَّح

(١) [سورة الحجر: الآيات ٤٩-٥٠]

(٢) [سورة الأنعام: آية ١٦٥].

(٣) أخرجه مسلم (٢٧٥٥).

كلاً من القراءتين مرجحون من حيث المعنى، وكلاهما صحيحة حسنة. ورجَّح الزمخشري «مَلِك» لأنها قراءة أهل الحرمين؛ ولقوله: ﴿لَمِنَ الْمَلِكِ الْيَوْمَ﴾^(١) وقوله: ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ﴾^(٢).

ومالك ومَلِك مأخوذ من المُلْك، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾^(٣) وقال: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ١ مَلِكِ النَّاسِ ٢﴾^(٤) وقال: ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ﴾^(٥) وقال: ﴿الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾^(٦).

(١) [سورة غافر: آية ١٦].

(٢) [سورة الأنعام: آية ٧٣].

(٣) [سورة مريم: آية ٤٠].

(٤) [سورة الناس: الآية ١-٢].

(٥) [سورة الأنعام: آية ٧٣].

(٦) [سورة الفرقان: آية ٢٦].



وتخصيص المُلْك بيوم الدين لا ينفيه عما عداه؛ لأنه قد تقدم الإخبار بأنه رب العالمين، وذلك عامّ في الدنيا والآخرة، وإنما أُضيف إلى يوم الدين؛ لأنه لا يدعى أحدٌ هنالك شيئاً، ولا يتكلم أحدٌ إلا بإذنه، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ (٣٨) وقال: ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ (١٠٨) وقال: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ سُقَىٰ وَسَعِيدٌ﴾ (١٠٥) (٣).

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «يَقْبُضُ اللهُ الْأَرْضَ، وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ مَلُوكِ الْأَرْضِ؟ أَيْنَ الْجَبَارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟» (٤).

(١) [سورة النبأ: آية ٣٨].

(٢) [سورة طه: آية ١٠٨].

(٣) [سورة هود: آية ١٠٥].

(٤) أخرجه البخاري (٤٨١٢) ومسلم (٢٧٨٧).

وفي القرآن العظيم ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ (١).

فأما تسمية غيره في الدنيا بملك فعلى سبيل المجاز؛ كما

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾ (٢)

﴿وَكَانَ وِرَاءَهُمْ مَلِكٌ﴾ (٣) ﴿إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ

مُلُوكًا﴾ (٤) وفي الصحيحين: «مثلُ الملوكِ على الأُسرة» (٥).

والدين: الجزاء والحساب، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ

يُوفِيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾ (٦) وقال: ﴿أَتَا لَمَدِيْنُونَ﴾ (٧) أي:

مجزيون محاسبون. وفي الحديث: «الكيس من دان نفسه،

وعمل لما بعد الموت» أي: حاسب نفسه؛ كما قال عمر

(١) [سورة غافر: آية ١٦].

(٢) [سورة البقرة: آية ٢٤٧].

(٣) [سورة الكهف: آية ٧٩].

(٤) [سورة المائدة: آية ٢٠].

(٥) أخرجه البخاري (٢٧٨٩) ومسلم (١٩١٢).

(٦) [سورة النور: آية ٢٥].

(٧) [سورة الصافات: آية ٥٣].



رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، وتأهبوا للعرض الأكبر على من لا تخفى عليه أعمالكم ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ (١).

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

العبادة في اللغة من الذلَّة، يقال: طريق مُعَبَّد، وبغير مُعَبَّد؛ أي: مُذَلَّل.

وفي الشرع عبارةٌ عمَّا يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف.

وقدم المفعول، وهو ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وكرَّره للاهتمام والحرص؛ أي: لا نعبد إلا إياك، ولا نتوكل إلا عليك؛ وهذا هو كمال الطاعة.

والدين كله يرجع إلى هذين المعنيين.

(١) [سورة الحاقة: آية ١٨].

وهذا كما قال بعض السلف: الفاتحة سر القرآن وسرها هذه الكلمة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فالأول تبرؤ من الشرك، والثاني تبرؤ من الحول والقوة، والتفويض إلى الله عزَّوَجَلَّ. وهذا المعنى في غير آية من القرآن، كما قال تعالى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (١) ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَّنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ (٢) ﴿رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ (٣) وكذلك هذه الآية الكريمة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

وقد تحوّل الكلام من الغيبة إلى المواجهة بكاف الخطاب، لأن العبد لما أثنى على الله فكأنه اقترب وحضر بين يدي الله تعالى؛ فلهذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

(١) [سورة هود: آية ١٢٣].

(٢) [سورة الملك: آية ٢٩].

(٣) [سورة المزمل: آية ٩].



وفي هذا دليل على أن أول السورة خبرٌ من الله تعالى بالثناء على نفسه الكريمة بجميل صفاته الحسنی، وإرشاد لعباده بأن يُثنوا عليه بذلك؛ ولهذا لا تصحُّ صلاة من لم يقل ذلك وهو قادر عليه، كما جاء في الصحيحين عن عبادة بن الصامت، قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب»^(١).

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة، عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يقول الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، فنصفها لي ونصفها لعبدي، ولعبدي ما سأل؛ إذا قال العبد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال الله: حمدني عبدي، وإذا قال: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ قال الله: أثنى عليَّ عبدي، فإذا قال: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ قال الله: مجَّدي عبدي، وإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قال هذا

(١) سبق تخريجه ص ٣.

بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل، فإذا قال: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾ قال: هذا لعبدي، ولعبدي ما سأل» (١).

وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ يعني: إِيَّاكَ نُوحِّدُ ونخاف ونرجو يا ربنا لا غيرك، ﴿وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ على طاعتك، وعلى أمورنا كلها.

وقال قتادة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (٥) يأمركم أن تُخْلِصُوا له العبادة، وأن تستعينوه على أموركم.

وإنما قدم ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ على ﴿وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (٥) لأن العبادة له هي المقصودة، والاستعانة وسيلة إليها، والاهتمام والحزم تقديم ما هو الأهم فالأهم، والله أعلم.

وقد سَمَّى اللهُ رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعبده في أشرف مقاماته؛

(١) سبق تخريجه ص ١٤.



فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ (١) ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ (٢) ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ (٣) فسمّاه: عبداً عند إنزاله عليه، وقيامه في الدعوة، وإسرائه به، وأرشده إلى القيام بالعبادة عندما يضيق صدره من تكذيب المخالفين حيث يقول: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ (٩٧) ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ (٩٨) ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ (٩٩) (٤).

﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (١)

لَمَّا تَقَدَّمَ الشَّاءُ عَلَى الْمَسْئُولِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى نَاسِبَ أَنْ يُعْقِبَ بِالسُّؤَالِ؛ كَمَا قَالَ: «فَنصفيها لي؛ ونصفيها لعبدي؛ ولعبدي ما سأل» وهذا أكمل أحوال السائل أن يمدح مسؤوله، ثم

(١) [سورة الكهف: آية ١].

(٢) [سورة الجن: آية ١٩].

(٣) [سورة الإسراء: آية ١].

(٤) [سورة الحجر: آية ٩٩].

يسأل حاجته وحاجة إخوانه المؤمنين بقوله: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (٦) لأنه أنجح للحاجة؛ وأنجح للإجابة؛ ولهذا أرشد الله إليه؛ لأنه الأكمل؛ وقد يكون السؤال بالإخبار عن حال السائل واحتياجه، كما قال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ (٢٤) (١) وقد يتقدمه مع ذلك وصف المسؤول؛ كقول ذي النون: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (٨٧) (٢) وقد يكون بمجرد الثناء على المسؤول؛ كقول الشاعر:

أذكر حاجتي أم قد كفاني حياؤك إن شمتك الحياء
إذا أثنى عليك المرء يوماً كفاه من تعرضه الثناء

والهداية ههنا: الإرشاد والتوفيق، وقد تعدى الهداية بنفسها، كما هنا: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (٦) فتضمن

(١) [سورة القصص: آية ٢٤].

(٢) [سورة الأنبياء: آية ٨٧].



معنى ألهمنا أو وفقنا، أو ارزقنا أو أعطنا: ﴿وَهَدَيْتَهُ النَّجْدَيْنِ﴾ (١) ﴿١٠﴾ أي: بينا له الخير والشر. وقد تُعدى بالي؛ كقوله تعالى: ﴿أَجَبْتَهُ وَهَدَيْتَهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٢) ﴿١٢١﴾ ﴿فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ الْجَحِيمِ﴾ (٣) ﴿٢٣﴾ وذلك بمعنى الإرشاد والدلالة؛ وكذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٤) ﴿٥٢﴾ وقد تُعدى باللام؛ كقول أهل الجنة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا﴾ (٥) ﴿٥٠﴾ أي: وفقنا لهذا، وجعلنا له أهلاً.

وأما الصراط المستقيم فقال الإمام أبو جعفر بن جرير: أجمعت الأمة من أهل التأويل جميعاً على أن الصراط المستقيم هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه؛ وكذلك في لغة جميع العرب؛ فمن ذلك قول جرير بن عطية الخطفي:

(١) [سورة البلد: آية ١٠].

(٢) [سورة النحل: آية ١٢١].

(٣) [سورة الصافات: آية ٢٣].

(٤) [سورة الشورى: آية ٥٢].

(٥) [سورة الأعراف: آية ٤٣].

أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى صِرَاطٍ
إِذَا اعْوَجَّ الْمَوَارِدُ مُسْتَقِيمٌ

قال: والشواهد على ذلك أكثر من أن تُحَصَّرَ.

قال: ثم تستعير العرب الصراط فتستعمله في كل قول وعمل ووصف باستقامة أو اعوجاج، فتصف المستقيم باستقامته، والمعوج باعوجاجه.

ثم اختلفت عبارات المفسرين من السلف والخلف في تفسير الصراط، وإن كان يرجع حاصلها إلى شيء واحد، وهو المتابعة لله وللرسول؛ ف قيل إنه كتاب الله، وقيل: هو الإسلام، وقيل هو الحق، وهذا أشمل.

وكل هذه الأقوال صحيحة، وهي متلازمة، فإن من أتبع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واقتدى باللذين من بعده: أبي بكر، وعمر - فقد أتبع الحق؛ ومن أتبع الحق فقد أتبع الإسلام،



ومن اتَّبَعَ الإسلام فقد اتَّبَعَ القرآن؛ وهو كتاب الله، وحبَّه
المتين، وصرَّاطه المستقيم؛ فكلها صحيحة يصدِّق بعضها
بعضاً، والله الحمد.

ولهذا قال الإمام أبو جعفر بن جرير رَحِمَهُ اللهُ: والذي
هو أولى بتأويل هذه الآية عندي أعني: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ
الْمُسْتَقِيمَ﴾ أن يكون معنيًا به: وفَّقنا للثبات على ما
ارتضيتَه، ووفَّقتَ له من أنعمتَ عليه من عبادك من قول
وعمل؛ وذلك هو الصراط المستقيم؛ لأن من وفَّق لما
وفَّق له مَنْ أنعم الله عليهم من النبيين والصدِّيقين والشهداء
والصالحين فقد وفَّق للإسلام، وتصديق الرُّسل، والتمسُّك
بالكتاب، والعمل بما أمره الله به، والانزجار عما زجره عنه،
واتِّباع منهاج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومنهاج الخلفاء الأربعة،
وكلِّ عبدٍ صالح؛ وكل ذلك من الصراط المستقيم.

فإن قيل: فكيف يسأل المؤمن الهداية في كل وقت من صلاة وغيرها، وهو متّصف بذلك؟ فهل هذا من تحصيل الحاصل؟

فالجواب: أن لا، ولولا احتياج العبد ليلاً ونهاراً إلى سؤال الهداية لما أرشده الله تعالى إلى ذلك، فإن العبد مفتقرٌ في كلِّ ساعةٍ وحالةٍ إلى الله تعالى في تثبيته على الهداية، ورسوخه فيها، وتبصُّره وازدياده منها، واستمراره عليها، فإن العبد لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً إلا ما شاء الله؛ فأرشده تعالى إلى أن يسأله في كل وقت أن يُمدّه بالمعونة والثبات والتوفيق، فالسعيد من وفقه الله تعالى لسؤاله؛ فإنه تعالى قد تكفل بإجابة الداعي إذا دعاه، ولا سيما المضطر المحتاج المُفتقر إليه آناء الليل وأطراف النهار.

وقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ ءَ وَالَّذِي أَنزَلَ مِنَ



قَبْلُ ﴿١﴾ فأمر الذين آمنوا بالإيمان، وليس هذا من باب
تحصيل الحاصل؛ لأنَّ المراد الثبات والاستمرار والمداومة
على الأعمال المُعِينة على ذلك. والله أعلم.

وقد قال تعالى أمراً لعباده المؤمنين أن يقولوا: ﴿رَبَّنَا
لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ
﴿٨﴾﴾ (٢) وقد كان الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقرأ بهذه الآية في الركعة
الثالثة من صلاة المغرب بعد الفاتحة سراً.

فمعنى قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ﴿٦﴾ استمرراً
بنا عليه، ولا تعدل بنا إلى غيره، ولا تُضِلَّنَا عنه.

وقوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ﴿٦﴾ مُفسِّراً
للصراط المستقيم، وهو بَدَلٌ منه عند النُّحَاة. ويجوز أن
يكون عَطْفَ بيان، والله أعلم.

(١) [سورة النساء: آية ١٣٦].

(٢) [سورة آل عمران: آية ٨].

والذين أنعم الله عليهم هم المذكورون في «سورة النساء»
 حيث قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ
 أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ
 وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى
 بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ (١).

والمعنى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ
 عَلَيْهِمْ﴾، ممن تقدم وضمنهم ونعتهم؛ وهم أهل الهداية
 والاستقامة، والطاعة لله ورسوله، وامثال أوامره وترك
 نواهيه وزواجره، غير صراط المغضوب عليهم؛ وهم الذين
 فسدت إراداتهم، فعلموا الحق وعدلوا عنه، ولا صراط
 الضالين؛ وهم الذين فقدوا العلم؛ فهم هائمون في الضلالة،
 لا يهتدون إلى الحق.

(١) [سورة النساء: الآيات ٦٩-٧٠].



فطريقةُ أهل الإيمان مشتملةٌ على العلم بالحق، والعمل به، واليهود فقدوا العمل، والنصارى فقدوا العلم، ولهذا كان الغضب لليهود، والضلال للنصارى؛ لأن من علم وترك استحقَّ الغضب بخلاف من لم يعلم؛ والنصارى لما كانوا قاصدين شيئاً لكنهم لا يهتدون إلى طريقه؛ لأنهم لم يأتوا الأمر من بابه، وهو اتباع الرسول الحق، ضلوا. وكل من اليهود والنصارى ضالُّ مغضوبٌ عليه، لكنَّ أخصَّ أوصاف اليهود الغضب، كما قال تعالى عنهم: ﴿مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾^(١) وأخصُّ أوصاف النصارى الضلال، كما قال تعالى عنهم: ﴿قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾^(٢).

وبهذا جاءت الأحاديث والآثار؛ وذلك واضحٌ بين فيما

(١) [سورة المائدة: آية ٦٠].

(٢) [سورة المائدة: آية ٧٧].

روى الإمام أحمد عن عدي بن حاتم؛ قال: جاءت خيل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخَذُوا عَمَّتِي وَنَاسًا، فَلَمَّا أَتَوْا بِهِمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَفَّوْا لَهُ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ نَاءَ الْوَأْفِدِ، وَانْقَطَعَ الْوَالِدُ، وَأَنَا عَجُوزٌ كَبِيرَةٌ مَا بِي مِنْ خِدْمَةٍ، فَمَنْ عَلِي، مَنْ اللهُ عَلَيْكَ. قَالَ: «مَنْ وَافِدُكَ؟» قَالَتْ: عَدِي بْنُ حَاتِمٍ. قَالَ: «الَّذِي فَرَّ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ؟» فَلَمَّا رَجَعَ النَّبِيُّ عَزَّوَجَلَّ وَرَجُلٌ إِلَى جَنْبِهِ تَرَى أَنَّهُ عَلِيٌّ، قَالَ سَلِيهِ حِمْلَانًا، فَسَأَلْتُهُ فَأَمَرَ لَهَا؛ قَالَ عَدِيٌّ: فَأَتَنِي فَقَالَتْ: لَقَدْ فَعَلْتَ فَعْلَةً مَا كَانَ أَبُوكَ يَفْعَلُهَا فَإِنَّهُ قَدْ أَتَاهُ فَلَانٌ فَأَصَابَ مِنْهُ، وَأَتَاهُ فَلَانٌ فَأَصَابَ مِنْهُ، فَأَتَيْتُهُ فَإِذَا عِنْدَهُ امْرَأَةٌ وَصَبِيَانٌ.. وَذَكَرُ قُرْبَهُمْ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ قَالَ: فَعَرَفْتُ أَنَّهُ لَيْسَ بِمَلِكٍ كَسَرِيٍّ وَلَا قَيْصَرَ؛ فَقَالَ: يَا عَدِيٌّ، مَا أَفْرَكَ؟ أَنْ يَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؟ فَهَلْ مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللهُ؟ مَا أَفْرَكَ؟ أَنْ يَقَالَ: اللهُ أَكْبَرُ، فَهَلْ شَيْءٌ أَكْبَرُ مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ؟ قَالَ: فَأَسْلَمْتُ فَرَأَيْتُ وَجْهَهُ اسْتَبْشَرَ.



وقال: إن المغضوب عليهم اليهود، وإن الضالين النصارى.
وذكر الحديث^(١).

وقد روى حديث عدي هذا من طرق، وله ألفاظ كثيرة
يطول ذكرها.

وقال ابن عباس: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ اليهود ﴿وَالضَّالِّينَ﴾ النصارى.

وكذلك قال الربيع بن أنس، وعبد الرحمن بن زيد بن
أسلم، وغير واحد.

وقال ابن أبي حاتم: ولا أعلم بين المفسرين في هذا
اختلافًا.

(١) أخرجه أحمد في المسند (٤/٣٧٨).



مسألة:

والصحيح من مذاهب العلماء أنه يُغْتَفَرُ الإِخْلَالُ بِتَحْرِيرِ ما بين الضاد والظاء، لِقُرْبِ مَخْرَجَيْهِمَا؛ وَذَلِكَ أَنَّ الضادَ مَخْرُجُهَا مِنْ أَوَّلِ حَافَّةِ اللِّسَانِ وَمَا يَلِيهَا مِنَ الْأَضْرَاسِ، وَمَخْرَجِ الظاءِ مِنْ طَرَفِ اللِّسَانِ وَأَطْرَافِ الثَّنَائِيَا الْعُلْيَا؛ وَلِأَنَّ كِلَا مِنَ الْحَرْفَيْنِ مِنَ الْحُرُوفِ الْمَجْهُورَةِ، وَمِنَ الْحُرُوفِ الرِّخْوَةِ، وَمِنَ الْحُرُوفِ الْمُطْبَقَةِ؛ فَلِهَذَا كَلَهُ اغْتِفَرِ اسْتِعْمَالِ أَحَدِهِمَا مَكَانَ الْآخَرِ لِمَنْ لَا يُمَيِّزُ ذَلِكَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وأما حديث: «أنا أفصح من نطق بالضاد» فلا أصل له، والله أعلم.



فَصْلٌ

اشتملت هذه السورة الكريمة، وهي سبع آيات، على حمد الله وتمجيده، والثناء عليه بِذِكْرِ أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى المستلزمة لصفاته العلى وعلى ذِكْرِ المعاد، وهو يوم الدين؛ وعلى إرشاده عبده إلى سؤاله والتضرُّع إليه، والتبرُّى من حَوْلِهِمْ وَقَوْتِهِمْ، وإلى إخلاص العبادة له، وتوحيده بالألوهية **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**، وتنزيهه أن يكون له شريك أو نظير أو مماثل، وإلى سؤالهم إياه الهداية إلى الصراط المستقيم، وهو الدين القويم، وتثبيتهم عليه، حتى يُفْضِي بِهِمْ ذَلِكَ إِلَى جِوَارِ الصَّرَاطِ الْحَسَنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُفْضِي بِهِمْ إِلَى جَنَّاتِ النِّعِيمِ فِي جِوَارِ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشَّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ.

واشتملت على الترغيب في الأعمال الصالحة، ليكونوا مع أهلها يوم القيامة، والتحذير من مسالك الباطل؛ لئلا يُحْشَرُوا مع سالكيها يوم القيامة، وهم المغضوب عليهم، والضالون.

فصل

يُسْتَحَبُّ لِمَنْ يَقْرَأُ الْفَاتِحَةَ أَنْ يَقُولَ بَعْدَهَا: «آمِينَ»
ومعناه: اللهم استجب.

والدليل على استحباب التأمين ما رواه الإمام أحمد،
وأبو داود، والترمذي، عن وائل بن حُجْر قال: سمعت النبي
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرَأَ ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ فقال:
آمِينَ، مَدَّ بِهَا صَوْتَهُ. قال الترمذي: هذا حديث حسن (١).

وعن أبي هريرة قال: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا تَلَا
﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ قال: «آمِينَ» حتى يسمع
من يليه من الصف الأول. رواه أبو داود (٢) وابن ماجه وزاد فيه:
«فيرتج بها المسجد» - والدارقطني، وقال: «هذا إسناد حسن».

(١) سنن الترمذي (٢٤٨).

(٢) أخرجه أبو داود (٩٣٤).



قال أصحابنا وغيرهم: يُستحبُّ ذلك لمن هو خارج الصلاة، ويتأكد في حق المُصَلِّي، وسواء كان منفرداً أو إماماً أو مأموماً، وفي جميع الأحوال؛ لما جاء في «الصحيحين» عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إذا أمَّن الإمام فأمنوا؛ فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه»^(١).

ولمسلم أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إذا قال أحدكم في الصلاة: آمين والملائكة في السماء آمين، فوافقت إحداهما الأخرى غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه»^(٢) قيل: بمعنى من وافق تأمينه تأمين الملائكة في الزمان. وقيل: في الإجابة. وقيل: في صفة الإخلاص.

وفي صحيح مسلم عن أبي موسى مرفوعاً: «إذا قال

(١) أخرجه البخاري (٧٨٠) ومسلم (٤١٠).

(٢) أخرجه مسلم (٤١٠).

- يعني الإمام - ولا الضالين فقولوا: آمين يُجِبْكُمْ اللهُ» (١).

قال الجوهري: معنى آمين: كذلك فليكن.

وقال الترمذي: معناه: لا تخيب رجاءنا.

وقال الأكثرون: معناه: اللهم استجب لنا.

وعن أنس قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُعْطِيَتْ آمِينَ فِي الصَّلَاةِ، وَعِنْدَ الدَّعَاءِ، لَمْ يُعْطَ أَحَدٌ قَبْلِي إِلَّا أَنْ يَكُونَ مُوسَى؛ كَانَ مُوسَى يَدْعُو وَهَارُونَ يُؤْمِنُ، فَاخْتَمُوا الدَّعَاءَ بِآمِينَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ يَسْتَجِيبُهُ لَكُمْ».

قلت: ومن هنا نزع بعضهم في الدلالة بهذه الآية الكريمة؛

وهي قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوهُ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ

(١) أخرجه مسلم (٤٠٤).



الْأَلِيمِ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمْ مَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ (١) فذكر الدعاء عن موسى وحده، ومن سياق الكلام ما يدلُّ على أن هارون آمن، فنزل منزلة من دعا؛ لقوله تعالى: ﴿قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمْ﴾ فدلَّ ذلك على أن مَنْ آمَنَ على دعاءٍ فكأنما قاله.

تمَّ المُختَصَر من تفسير الإمام ابن كثير لسورة الفاتحة

والْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ



(١) [سورة يونس: آية ٨٩].